



إدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية  
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

فرقة البحث (P.R.F.U): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

# بحوث الملتقى الدولي السابع المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1900 - 1962م

بتاريخ: 05 و06 ذو القعدة 1443هـ / الموافق لـ 04 و05 جوان 2022



## منطقة وادي ريغ بالجنوب الشرقي الجزائري - الجغرافيا، السكان، الاحتلال -

*Oued Righ region in South east of Algeria  
geography, inhabitants, occupation*

ط.د / أحمد مجوري

جامعة الوادي (الجزائر)

[medjouri-ahmed@univ-eloued.dz](mailto:medjouri-ahmed@univ-eloued.dz)

د / معاد عمراني

جامعة الوادي (الجزائر)

[amrani.mouad18@gmail.com](mailto:amrani.mouad18@gmail.com)



**ملخص:** يتناول هذا المقال بالبحث والدراسة منطقة وادي ريغ بالجنوب الشرقي الجزائري، خلال البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي لهذه المنطقة، حيث تطرقت فيه إلى جغرافية هذا الإقليم من حيث الموقع الجغرافي والتسمية، وبخصوص السكان، فقد تناولت فيه التركيبة البشرية، وكذا تطور النمو السكاني لهذه المنطقة، وذلك من بداية احتلالها سنة 1854م إلى غاية النصف الأول من القرن العشرين، وفي فترة الاحتلال الفرنسي، ركزت الحديث حول الاستعدادات الفرنسية الأولى لاحتلال مدينة توقرت عاصمة وادي ريغ، ثم أحداث معركة المقارين سنة 1854م، حيث سقطت فيه هذه الأخيرة في أيدي القوات الفرنسية.

**الكلمات المفتاحية:** وادي ريغ؛ الجنوب الشرقي؛ الجغرافيا؛ السكان؛ الاحتلال.

### **Abstract :**

This article studies and digs deep into the region of Oued Righ in the south east of Algeria at the very beginning of the French occupation. I tried to explore the geography the region in term of the place and name, and concerning the inhabitants, I tried to know its human construction, and its inhabitant growth development from the beginning of the occupation in 1854 to first half of twentieth century, During the French occupation, I focused on talking about the French first preparation for the occupation of Touggourt city, the capital of Oued Righ, and then on the battle of Megarine in 1854, when this city afterwards succumbed to the French forces.

**Keywords:** Oued Righ; South East of Algeria; geography; inhabitants; occupation .

## 1. مقدمة:

تقع منطقة وادي ريغ بالجنوب الشرقي الجزائري، وتعود الحياة في هذه المنطقة إلى فترة ما قبل التاريخ، وكبقية مناطق الوطن الجزائري، عرفت هذه المنطقة فترة الاحتلال الفرنسي، خلال بداية منتصف القرن التاسع عشر ميلادي، وقبل مرحلة الاستعمار، خضعت هذه المنطقة لعدة أنظمة سياسية، كان آخرها أسرة بني جلاب، التي بسطت سيطرتها ونفوذها على وادي ريغ لمدة ناهزت الثلاثة قرون، انطلاقا من مدينة توقرت العاصمة السياسية للإقليم، كما سكنت هذه المنطقة عدة قبائل وأعراش مختلفة ومتنوعة على امتداد هذا الإقليم، ومنه نطرح السؤال الآتي: كيف أثر الموقع الجغرافي لمنطقة وادي ريغ على احتلالها من قبل الفرنسيين، وما هي أبرز مكونات المجتمع الريغي خلال النصف الأول من القرن العشرين، وكيف تطور النمو السكاني خلال هذه الفترة، ما موقف بنو جلاب (حكام وادي ريغ)، وسكان وادي ريغ من المستعمر الفرنسي لما شرع في التحضير لغزو واحتلال مدينة توقرت عاصمة الحكم الجلابي؟

وتهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز أهمية الموقع الجغرافي لمنطقة وادي ريغ، خاصة خلال الفترة الاستعمارية، وكذا التنوع السكاني، الذي امتازت به هذه المنطقة، ثم دور هذه الأخيرة في مقاومة المستعمر الفرنسي، معتمدين في دراستنا هذه على المنهج التاريخي، الذي يجمع بين الوصف والتحليل.

## 2. جغرافية المنطقة

### 2. 1. الموقع والحدود:

يقسم الجغرافيون الصحراء الجزائرية الشمالية إلى قسمين، الصحراء المنخفضة (Bas Sahara) والصحراء المرتفعة (Haut Sahara)، وعموما، فإن منطقة الدراسة -وادي ريغ- تقع في قلب الصحراء المنخفضة، وهي منطقة ارتوازية غنية بالمياه الجوفية كانت مهدا لنشأة الواحات<sup>1</sup>، وبالتحديد يقع إقليم وادي ريغ في الشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية في منخفض مستطيل الشكل، طوله 160 كم، وعرضه يتراوح ما بين 30 و 40 كم، يبتدئ شمالا من قرية عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور، وينتهي جنوبا بقرية فوق<sup>2</sup>. يحد الإقليم من الشمال، الجنوب الغربي لشط ملغيغ، ومن الجنوب مدينة ورقلة، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير، ومن الغرب منحدر حصوي وهضبة ميزاب<sup>3</sup>، وأهم ما يميز منطقة وادي ريغ

1- Edmont Sergent, Le Peuplement Humain du Sahara, Institut Pasteur d'Alger, T.31, Alger, 1953, p.23.

2- عبد الحميد قادري، التعريف بوادي ريغ، د.ط، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، توقرت، د.ت، ص.1.

3- أبو عبد الله محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج.1، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية،

من الناحية التضاريسية هو البساطة والاستواء، حيث تتميز بانحدار خفيف من الجنوب إلى الشمال، وبارتفاع عن سطح البحر مقداره 35م، مع مرتفعات بسيطة لا تفوق 300م<sup>4</sup>.

## 2.2. التسمية:

سمى ياقوت الحموي إقليم وادي ريغ بالزاب الصغير أو ريغ<sup>5</sup>، وسماه ابن خلدون بلاد ريغ أو أرض ريغ<sup>6</sup>، وسماه ابن سعيد أيضا ببلاد ريغة<sup>7</sup>، أما في الوقت الحاضر، فيعرف بوادي ريغ، تمييزا له عن وادي سوف ووادي ميزاب<sup>8</sup>. ومن حيث تسمية المنطقة، فقد تعددت الروايات حول تفسير كلمة "ريغ"، إذ يرى ابن خلدون أن سبب التسمية يعود إلى ريغة أحد بطون مغراوة، وفي هذا الصدد يقول: «وأما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة .... ونزل الكثير منهم ما بين قصور<sup>9</sup> الزاب وواركلا، فاختلفوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحصر من الغرب إلى الشرق، ويشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة والأطم، وقد رفّ عليها الشجر ونضدت حوافها النخيل، وانساحت خلالها المياه، وزهت بينابيعها الصحراء، وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء، وهم تعرف لهذا العهد<sup>10</sup>. وإن كان ياقوت الحموي يرى بأن ريغ كلمة بربرية معناها السيخة<sup>11</sup>، فإن العدواني يقول بأن اسم المنطقة يعود إلى رجل اسمه

---

القاهرة، 2002م، ص.85، وكذلك:

Bouzid Touati « les potentialités hydrique et la phoeniciculture dans la vallée de l'oued Righ , Bas-Sahara algérien» thèse de doctorat de 3eme cycle, laboratoire de géographie physique, université de Nancy, Février 1986, P.13

4- Rouvillois Brigol, Oasis du Sahara Algérien, Institut géographique National, Paris, 1978, p.09.

5- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط.1، تح: فريد عبد العزيز جندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ / 1990م، ص.129.

6- عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ بن خلدون، د.ط. دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، مج.7، ج.13، ص.98.

7- علي بن سعيد بن موسى، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970م، ص.190.

5- قادري، المرجع السابق، ص.1.

9- يختلف مفهوم القصر هنا عن المعنى الشائع وهو البناية الفخمة، فالقصر في المناطق الصحراوية هو عبارة عن قرى محصنة، أو بالأحرى هو عبارة عن تكتلات سكنية متراصة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية، تنتهي إلى أصول عرقية أو طبقات اجتماعية مختلفة، ويحيط بهذه التكتلات أحيانا سور سميك، للمزيد من المعلومات ينظر: علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، م. و. ف. م، الجزائر، 2006م، ص.18.

10- ابن خلدون، المصدر السابق، مج.7، ج.13، ص.98.

11- الحموي، مصدر سابق، ص.113

ريغ، موضحا بالحرف الواحد: «ثم قلت له أخبرني عن وادي ريغ؟ وعن مسكنه؟ قال لي: يا سيدي ريغ اسم رجل يقال له ياهوت بن شملخ من كعب بن عاوية من ولد أندلس بن يافث بن نوح»<sup>12</sup>.

كان إقليم وادي ريغ قبل الاحتلال الفرنسي، يتكون من حوالي 35 مدينة وقرية ودرسة، تشكل في مجموعها واحات وادي ريغ، ونذكر منها: منطقة المغير التي تضم (أم الطيور، نسيغة، سيدي خليل، البارد، تندلة، والمغير أيضا)، ومنطقة جامعة وبها (لغفيان، الزاوية، مازر، تقديدين، سيدي عمران، تمرنة، سيدي يحيى، ناهيك عن جامعة) وكذا منطقة توقرت وتشمل (سيدي سليمان، لهرهيرة، مقر، القصور، غمرة، المقارين، توقرت، تماسين، قوق..)<sup>13</sup>. وتعتبر مدينة توقرت عاصمة إقليم وادي ريغ<sup>14</sup>، أي العاصمة السياسية والعسكرية، أما العاصمة الدينية في الفترة الحديثة والمعاصرة، فهي مدينة تماسين<sup>15</sup> التي يوجد بها مقر الزاوية التجانية<sup>16</sup>.

### 3. السكان:

#### 3. 1. التركيبة البشرية:

سكنت بوادي ريغ قبائل وأجناس متعددة، وتعاقت عليها أمواج بشرية كثيرة، وهذا منذ قرون عديدة، وقد امتزجت هذه المجموعات البشرية مع بعضها البعض، حتى أصبح الدارس يجد صعوبة بالغة في التمييز بين هذه القبائل والجماعات، وعلى الرغم من ذلك،

12- محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005 م، ص138.

13- معاد عمراني «أسرة بني جلاب في منطقة واي ريغ، من بداية القرن التاسع عشر إلى سنة 1962م، دراسة سياسية واجتماعية» مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1422هـ-1423هـ/2002م-2003م، ص90.

14- تقع مدينة توقرت في الجنوب الشرقي الجزائري، حيث تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 620 كم، وقد تعددت الروايات حول تفسير كلمة توقرت، فهناك من ينسبها لامرأة جميلة سكنت توقرت، اسمها البهجة، وهناك من يقول أن معناها هو القمر أو الجوهرة، لكن الراجح أن كلمة توقرت مصطلح أمازيغي، ومعناه المنطقة القاسية والتي تصعب فيها الحياة، للمزيد من المعلومات حول مصطلح توقرت، ينظر: معاد عمراني «البعد الأمازيغي في أسماء مدن وقرى وادي ريغ ووادي سوف بالجنوب الشرقي الجزائري» أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي أيام 03 - 04 - 05 ديسمبر 2012م، مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري بتيزي وزو.

15- تبعد تماسين بحوالي 12كم جنوب توقرت، وقد تعددت الروايات حول تسمية تماسين، لكن الراجح منها هو أن كلمة تماسين مصطلح أمازيغي، ومعناه المنطقة التي تكثر بها المياه الجوفية، للمزيد من المعلومات ينظر: عمراني «البعد الأمازيغي...»، المرجع السابق.

4- Zaccone (J), de Batna à Touggourt et au Souf, librairie militaire j.dumaine, Paris, 1865, p.224

فإنه يمكن أن نقسم الخارطة البشرية لوادي ريف إلى أربعة عناصر، وهي: الأمازيغ (الرواغة) والعرب والزنوج والمولدون.

أ- الرواغة: يعتبر الرواغة من أهم وأقدم المجموعات السكانية التي استقرت بوادي ريف، وتعود أصولهم إلى قبيلة ريف البربرية (الأمازيغية) وهي إحدى بطون مغراوة التي عمّرت هذا الاقليم منذ قرون عديدة، حيث سكنوا هذه المنطقة وكانوا هم الجنس الغالب، فالقصور التي أنشأت على أطراف وادي ريف كانت عامرة بهم، حتى نسبت هذه الجهة إليهم، فسميت بوادي ريف باعتبار الكثرة والغلبة، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "وكثر في قصورها العمران من ريف هؤلاء وهم تعرف لهذا العهد"<sup>17</sup>. ويفهم من كلام ابن خلدون، الذي زار وادي ريف في القرن السابع الهجري أنه وإلى غاية هذه الفترة كان البربر هم الجنس الغالب والمسيطر، خاصة إذا علمنا أن المغرب الأوسط (الجزائر) قد شهد توافد مجموعات بشرية جديدة، منذ أواسط القرن الخامس للهجرة، تمثلت في القبائل العربية من بني هلال وبني سليم<sup>18</sup>.

وما يدل على الوجود الأمازيغي وقدمه في هذه المنطقة، أنه ولغاية يومنا هذا مازالت مختلف أسماء المدن والقرى والغابات، ومختلف أنواع التمور تنطق بالأمازيغية، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر، اسم توقرت وتماسين وتالة وتمرنة ومازر وغمرة ووجلانة وتاغفونت وتايزرت وغيرها، كلها مصطلحات أمازيغية<sup>19</sup>، بل مازالت هناك مناطق بأكملها في وادي ريف لا تستعمل إلا اللهجة الأمازيغية، والتي تسمى محليا بالشلحة، ونذكر من بينها بلدة عمر القريبة من مدينة توقرت، أما مدينة تماسين وبلدة غمرة فإن استعمال الشلحة فيهما الآن بقي مقتصرًا على كبار السن، وإن كان الصغار يفهمونها، ولكنهم لا يستعملونها في حياتهم اليومية. والسؤال الذي نطرحه هنا هل هذه المجموعات التي مازالت تستعمل اللهجة الأمازيغية (الشلحة)، تمثل قبيلة ريف التي تحدث عنها ابن خلدون؟.

في الواقع أن الأمازيغ بصفة عامة في وادي ريف، وعلى مر القرون قد اختلطوا بغيرهم من الأجناس، فلم نعد نميز بين ريف وغيرها من الجماعات، وقد لاحظ هذه النقطة الكاتب الفرنسي جورج رولاند (George Rolland)، الذي زار منطقة وادي ريف في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، إذ يرى أن الرواغة بربر، لكنهم يمتازون بسواد البشرة وتجعيد

17- ابن خلدون، المصدر السابق، مج 7، ص 98.

18- يعتبر الشيعة الفاطميون بمصر هم سبب هجرة هذه القبائل العربية إلى المغرب الأوسط ( الجزائر) وهذا عقابا لبني زيري، الذين تركوهم خلفاء لهم بالمغرب، إلا أنهم انقلبوا عليهم وتحولوا إلى المذهب السني المالكي، وكانت بداية الزحف الهلالي السليبي إبتداء من سنة 442هـ، للمزيد من المعلومات ينظر:

رابح بونار، المغرب العربي، تاريخه وثقافته، ج 2، ط 2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص ص 192-200.

19- للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ينظر: عمراني « البعد الأمازيغي ...» مرجع سابق.

الشعر، وهذا يتناقض مع الصفات الخلقية للبربر، والذين يمتازون ببياض البشرة، إلا أنه يجيبنا أن هذه الصفات ليست أصلية عند الرواغة، بل هي صفات اكتسبها من خلال زواج آبائهم، ومنذ قرون عديدة بالأمات، والذين كانوا يجلبون من السودان<sup>20</sup>.

ب- العرب: ذكرنا فيما سبق، أن موجات جديدة من العرب قد توافدت على المغرب الأوسط (الجزائر)، وكان ذلك بتشجيع من الفاطميين بمصر، حيث نفذوا من ثلاث جهات، وهي جهة الساحل، وجهة الهضاب ما بين سلسلي الأطلس التلي والصحراوي، وجهة الصحراء<sup>21</sup>، وكان نفوذهم من البوابة الأولى أكثر من غيرها<sup>22</sup>، أما جهة الصحراء، فقد تصدت لهم جموع زناتة في بداية الأمر<sup>23</sup>، إلا أنهم في آخر الأمر تمكنوا من التوغل في هذه المنطقة، وتمازجوا مع القبائل المحلية خاصة مغراوة، وانتشروا في تلك التخوم الصحراوية<sup>24</sup>، والتي حدّدت ببلاد النمامشة شمالا، ووادي ريف جنوبا<sup>25</sup>. ومن أهم القبائل العربية التي سكنت بوادي ريف، نذكر قبيلة أولاد مولات، والتي كانت تتشكل من ثلاثة أعراش وهي: أولاد دباب المنحدرين من أولاد زيد ويمثلون الأعيان، أولاد حامد، الواته، وكانت هذه القبيلة تمارس حياة الحل والترحال بين مختلف مدن وقرى وادي ريف، كما كانت تملك محلات ودكاكين في أغلب أنحاء هذه المنطقة، يضاف إليهم قبائل أخرى، نذكر منها الفتايت وأولاد سلمية وأولاد رحمان (العرب لغرابة)، وأولاد سايح وسعيد أولاد عمر<sup>26</sup>.

ج- الزوج: هم بقايا العبيد الذين جلبهم تجار النخاسة، لأن سوق تقرت كان سوقا عاما يأتيه التجار من كل الجهات لقضاء مأربهم، فبعضهم جاء إلى المنطقة فارا من أسياده، وبعضهم كانوا موالى وعبيدا عند سلاطين بني جلاب<sup>27</sup> وأغنياء الإقليم، ثم تحرروا من ريق العبودية، وبعضهم وفد على المنطقة من بلاد السودان، وهم منتشرون في كامل الإقليم وينتسبون إلى المداشر والقرى التي سكنوها<sup>28</sup>.

20- George Rolland, La Conquête du désert, Biskra, Touggourt, Oue Ri, éditeur librairie coloniale, Paris, 1889, p.56.

- 21- محمد خير الدين، مذكرات، ج1، دط، م.وك، الجزائر، د.س، ص ص.19-20.
- 22- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، م.وك، الجزائر، 1989م، ص.182.
- 23- رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، دط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، د.س، ص.54.
- 24- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، دط، م.وك، الجزائر، 1983م، ص.163.
- 25- علي غناييزية «مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/19م» رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص.111. دراسة وصفية لواحة وادي ريف:

26- A.O.M, B.N°, 1H229,

A.O.M, B.N°, 1H229, Annexe de Touggourt, Rapport annuel :

- 27- بنو جلاب: هم حكام توقرت ووادي ريف، من سنة 1531م إلى 1854م.
- 28- عبد الحميد قادري، وادي ريف وأمجاد جزائرية، دراسة تاريخية، ج1، ط1، دار الأوطان للنشر

د- المولدون: المولدون هم خليط من الدماء الأمازيغية أو العربية بالدماء الزنجية نتيجة التزاوج بين السكان الأصليين أو العرب بالنساء الزنجيات، وينتسبون إلى القرية أو البلد الذي ولدوا ونشئوا فيه ولا ينتسبون لأصولهم، وبطول الزمن وتعاقب الأجيال اندمجت جميع هذه العناصر في بوتقة واحدة، وقد انمحت سلسلة الأنساب، ولم يعد باستطاعة الإنسان أن يفرق بين الأمازيغي الأصل والعربي، أو بين المولد وغيره من الأجناس<sup>29</sup>.

### 3. 2. تطور النمو السكاني:

إن كل معلوماتنا حول إحصائيات السكان في منطقة وادي ريغ أخذناها من المصادر الفرنسية، سواء كانت كتب رحالة أو تقارير بعض القادة العسكريين، والذين قاموا بعمليات إحصائية متعددة لهذه المنطقة، ونستنتج من خلال هذه المصادر أن التعداد السكاني لوادي ريغ بعد الاحتلال الفرنسي أواخر سنة 1854م، أخذ يزداد شيئاً فشيئاً، ففي شهر ماي سنة 1856م بلغ عدد سكان هذا الإقليم 6772 ساكن، وفي شهر جوان سنة 1879م وصل التعداد إلى 12872 ساكن و2878 منزل<sup>30</sup>. ونلاحظ أن هذه الإحصاءات غير دقيقة ولا تعكس الواقع، لأن صاحبها ركز على السكان المستقرين بالقرى والمداشر، مع إغفال القبائل غير المستقرة، والتي كانت تجول وتصول في أرجاء هذا الإقليم بحثاً عن الكلاً والمرعي والأسواق، ونذكر على سبيل المثال العرب الغرابية، وأولاد سايج والفتايت وسعيد أولاد عمر وغيرهم.

مع بداية العقد الأول من القرن العشرين ميلادي، أصبحت الإحصاءات أكثر دقة، إذ أصبحت تأخذ بعين الاعتبار كل مكونات المجتمع الريغي، ففي إحصاء 1908م، بلغ عدد سكان وادي ريغ 30582 ساكن، منهم 7185 في توقرت لوحدها، أما إحصاء سنة 1921م، فقد ارتفع عدد سكان وادي ريغ إلى 54248 ساكن منهم 11655 شخص في توقرت، ويتوزعون على عشرة قبائل وأعراش، وتضم كلا من عرش توقرت، وتماسين، والطيبات القبلية، وسعيد أولاد عمر، وأولاد السائح، والعرب لغرابية، وأولاد مولات، والمقارين- تمرنة، وجامعة، والمغير<sup>31</sup>. وقدّر عدد سكان وادي ريغ في إحصاء مارس سنة 1931م بحوالي 60606 ساكن، منهم 10578 شخص في توقرت، أما إحصاء سنة 1948م، فقد وصل تعداد السكان إلى 85193 ساكن، منهم 16099 في توقرت<sup>32</sup>.

والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص.191.

29- قادري، وادي ريغ تاريخ وأمجاد، مرجع سابق، ص.191-192.

30- Les Oasis de L'Oued Rir en 1856-1879, Imprimerie de L.Marle, Constantine, 1879, pp.10-12.

31- A.O.M, B.N° 23H99, Annexe de Touggourt, Rapport annuel 1921.

32- Ibid, Rapport annuel 1931.



#### 4. غزو واحتلال مدينة توقرت عاصمة الحكم الجلابي (1853م-1854م)

##### 1.4. التحضيرات الفرنسية لاحتلال مدينة توقرت:

منذ أن احتلت فرنسا مدينة بسكرة سنة 1844م، بقيت تتطلع إلى احتلال بقية الجنوب الجزائري، وخصوصا مدينة توقرت عاصمة الحكم الجلابي، ولم يتحقق لها ذلك، إلا بعد عقد من الزمن، أي في سنة 1854م. وبين سنتي 1844م و1854م، حدثت عدة أحداث ووقائع، أخرت احتلال فرنسا لمدينة توقرت، نذكر من أبرزها جهاد الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري، وجهاد أحمد باي في الشرق الجزائري، لكن ما إن تمكنت فرنسا من القضاء على هذين المقاومين، حتى يَمَّت وجهها شطر منطقة توقرت لاحتلالها. وبذلك بقيت السلطات الاستعمارية تتحين الفرصة المناسبة، لتنفيذ ذلك، فقد كانت العلاقة بين بني جلاب والسلطات الاستعمارية حسنة في عهد عبد الرحمان بن جلاب، ولكن بوصول سلمان بن علي إلى الحكم في توقرت، تغيرت العلاقة بين الطرفين، وذلك بسبب تصرفات سلمان المعادية للفرنسيين، فوجد المستعمر في ذلك فرصة مناسبة، لغزو هذه المنطقة واحتلالها.

يعتبر سلمان بن علي الجلابي آخر حاكم في الأسرة الجلابية، فلما استولى على الحكم في شهر مارس 1852م، فتح أسواق مدينة توقرت أمام أعداء فرنسا كناصر بن شهرة<sup>33</sup> والشريف محمد بن عبد الله<sup>34</sup>، فاضطر سلمان لإيهاج الفرنسيين بالولاء ودفعت لهم

---

33- هو ابن ناصر بن شهرة بن فرحات، ولد عام 1804م، وتزوج بنت السيد أحمد بن سالم، سلطان مدينة الأغواط قبل الاحتلال، ولما جاء المستعمر الفرنسي، رفض الخضوع له، وتوجه إلى أعماق الصحراء، وقد دام كفاحه أكثر من 24 سنة ضد المستعمر الفرنسي (1851م-1875م)، ولما وقعت حرب السبعين بين فرنسا وألمانيا، استأنف ناصر بن شهرة الكفاح، فكان بطالا بارزا من أبطال ثورة 1871م، ونازل الاحتلال إلى أن انتهت الثورة، فسافر إلى بيروت = الشام، حيث أمضى بقية حياته، إلى أن توفي سنة 1884م، للمزيد من المعلومات، ينظر: أحمد بوزيد قصبية «إبن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871م» في الأصالة، ع.6، السنة الأولى ذو الحجة 1391هـ/جانفي 1972م، ص.56 - 58.

34- ينتهي محمد بن عبد الله إلى أولاد سيدي أحمد بن يوسف، فرع قبيلة أهل روجل قرب عين تيموشنت، تعاون في بداية حياته مع السلطات الاستعمارية في الغرب الجزائري، فخلعوا عليه لقب السلطان، ثم انقلب بعد ذلك على الاستعمار وأعلن عليه الثورة، حيث بدأ حياته الجهادية بالاستيلاء على ورقلة سنة 1851م، ثم واصل جهاده بعد ذلك، فامتدت فترة كفاحه حوالي نصف قرن، وشملت الجزائر وتونس وطرابلس، ينظر:

(V) Colomieu, Voyage dans le Sahara algérien, de Géry ville à Ouargla 1862, Paris, 1863, p. 164

الضريبة، حتى يسمحوا له بشراء التموينات التي يحتاجها في توقرت، وكان الفرنسيون قد اشترطوا على سلمان أن يغلق سوق توقرت في وجه الثوار، لكنه لم يفعل، وقدم 500 جمل محملة بالموونة للشريف محمد بن عبد الله وناصر بن شهرة، واكتشف الفرنسيون ذلك فيما بعد<sup>35</sup>. ولتأكيد العلاقة الطيبة مع محمد بن عبد الله، استقبل استقبالاً مهيباً بتوقرت في صيف 1853م، وتزامن ذلك مع لجوء الشيخ سلمان إلى وضع تحصينات إضافية في المدينة استعداداً لأي حرب مع الفرنسيين، أما ناصر بن شهرة، فقد كان تحت رعاية سلمان بن جلاب في نهاية 1853م، وهذا بعد ما أصيب بجروح بليغة أثناء الدفاع عن مدينة ورقلة<sup>36</sup>.

بالتوازي مع تحضيرات سلمان الجلابي للدفاع عن مدينته، شرعت القوات الاستعمارية في التحضير لاحتلال منطقة وادي ريغ جديا، فأمرت جميع وحدات قواتها المسلحة المتواجدة في بسكرة بالتجمع ببرج طاير راسو يوم 18 نوفمبر 1854م، وتحرك فيلق القائد مارمي (Marmier)، لاستكشاف المنطقة محملاً من المؤونة ما يكفيه لمدة شهر كامل، كانت على متن ما يقارب الألف من الإبل، وصل بها إلى المغير يوم 22 نوفمبر 1854م، ثم إلى وغلانة يوم 24 نوفمبر، ثم سيدي راشد يوم 27 نوفمبر، ثم إلى غمرة التي لم يجد فيها مارمي إلا النساء والشيوخ والأطفال؛ لأن الشباب كلهم ذهبوا إلى معسكر توقرت، للمشاركة ضمن قوات سلمان<sup>37</sup>.

## 2.4. معركة المقارين وسقوط مدينة توقورت (نوفمبر 1854م):

بعد أن قطعت القوات الفرنسية المسافة ما بين بسكرة إلى توقرت، دون مقاومة تُذكر من سلمان ومناصريه<sup>38</sup>، وصل الجيش الفرنسي إلى منطقة المقارين بعد الظهر<sup>39</sup>، وبدأ يحضر للمعركة وقد قدر عدد القوات الفرنسية المشاركة في هذه المعركة بـ 250 جندي نظامي، و 2400 من الاحتياطيين وقوات الصبايحية بقيادة العربي المملوك مكونة من 150

---

الثانية، رجب 1396 هـ/ يونيو، يوليو 1976م، ص ص. 11-24.

(C) Trumelet, Les Français dans le désert, 2 édition, Paris, Challamel aîné, éditeur librairie Algérienne et coloniale, 1885, P.44.

35- (Ch) Feraud «Note historique sur la province de Constantine, Les Ben Djellab Sultans de Touggourt» R.A, N° 25, P.135.

36- عبد المجيد بن نعمة «مواقف شيوخ بني جلاب في تقرت من الاحتلال الفرنسي» الملتقى التاريخي الثالث، بتوقرت (ولاية ورقلة)، يومي 23 و24 أبريل 1998م، ص.125.

37- A.O.M, 10H76, Mémoires siroka, cahier n°3.

8 (J) Zaccone, Batna à Touggourt et au Souf, Paris: Librairie mitaire J, dumaine, 186, P.208.

39 تبعد لمقارين بحوالي 12 كم شمال توقرت.

فارس، ويذهب الفرنسيون إلى أن جيش المقاومين كان يتألف من 2000 من الفنتازية و400 خيالة<sup>40</sup>، أما القائد العام للحملة، فهو العقيد ديفو (Desvaux) حاكم مقاطعة باتنة<sup>41</sup>. باقتراب القوات الفرنسية من مدينة توقرت عاصمة الحكم الجلاي، نصح الشريف محمد بن عبد الله صديقه سلمان بأن لا يبقى قابعا في مدينة توقرت، بل عليه أن يجمع قواته ويضايق مسيرة الفرنسيين إلى توقرت، أي أن سلمان ينتقل من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم<sup>42</sup>. ويبدو أن سلمان هاجم الفرنسيين من غير خطة، فقد كان هناك رجل من جماعة وادي سوف يقال له كرباع، صال في القوم وكان في وقت الاستراحة، فقال لهم: كيف تصبرون على القتال إلى الآن، فقام الناس من غير استعداد ولا انتظام، وهاجموا القوات الفرنسية في المقارين، وكانوا ينتظرونهم واقفين على قدم وساق<sup>43</sup>. وبذلك بدأت المعركة يوم 29 نوفمبر 1854م بين المعسكرين في بورخيس<sup>44</sup> على وجه التحديد.

في أول الأمر، انهزم الجيش الفرنسي، ثم تعزز بقوة جديدة، رجحت الكفة لصالحه<sup>45</sup>، وبلخص لنا النقيب سيروكا (Seroka) مجريات هذه المعركة، وذلك باعتباره أحد القادة الفاعلين، إذ يخبرنا بأن قوات سلمان والشريف محمد بن عبد الله، حاولت التسلل داخل قرية المقارين، لجلب انتباه الجنود الفرنسيين ناحية الشرق، في حين كانت كوكبة أخرى تتأهب، لدخول القرية والتحصن بداخلها، لكن هذه الخطة لم تعرف أي نجاح، حيث أمر القائد مارمي (Marmier) جنوده بتطويق واحة المقارين، وحاول الملازم الأول عمار قائد مفرزة من الصبايحية، صد المهاجمين الذين كانوا على الجهة اليسرى، في حين تكفل النقيب فانديريوس (Vindrios) مع مجموعته المتكونة من القناصين بتوقيف زحف الفرسان، الذين كانت جثثهم قد غطت جوانب الخندق المحيط بالمقارين<sup>46</sup>. ورغم الاستماتة

40- A.O.M, 10H76, Mémoires siroka, cahier n°3.

وكذلك: جريدة المبشر، ع.176، 31 ديسمبر 1854م، إن هذه الإحصاءات حسبما صرح به سيروكا أحد قادة الحملة على توقرت، شملت جيش الشريف محمد بن عبد الله التي قدم بها من منطقة وادي سوف وضواحيها، فهي بالتالي قد أغفلت قوات سلمان الجلاي، ويدخل فيها مختلف الشباب، الذين استنفرهم من قرى ومداشر وادي ريف بالإضافة إلى مختلف القبائل العربية المتحالفة معهم. وبالتالي، فإننا نرى أن العدد قد يكون أكثر من ذلك بكثير.

1- A.O.M, 10H76, Mémoires siroka, cahier n°3.

42 Feraud « Notes Historiques ... » Op.Cit, N°25, P.199.

43- العوامر، مرجع سابق، ص ص.247 - 248.

4- بورخيس موضع يقع في الشمال الشرقي للمقارين بحوالي 7كم، ويبدو أن هذه المعركة مازالت حاضرة في أذهان سكان المنطقة، ففي كل خريف، وهو الفصل الذي جرت فيه المعركة، تقام حضرة بورخيس في هذا المكان، مقابلة مع المجاهد محمد الصالح زوزو، في 10/09/2001م بالمقارين (ولاية ورقلة).

45- بن دومة، مرجع سابق، ص.37.

6Feraud, « Notes Historiques ... » Op.Cit, N°25, PP.218-220.

التي أظهرها الملازم الأول عمار، وما سببه ذلك من خسائر في صفوف سلمان والشريف، إلا أن فرسان هؤلاء تمكنوا من استعادة أنفاسهم ورفع رايتهم والتقدم بها نحو الأمام، ليجدوا في مواجهتهم فرقة النقيب كورتيفرن (Cortivern) التي طوّقتهم من كل مكان، فوجدوا أنفسهم يبحثون عن سبل النجاة، وبذلك تحولت المعركة إلى مطاردة تزعمها كورتيفرون مع الفرقة الأولى للقناصة<sup>47</sup>.

أما الملازم الأول جوهانو (Johanneau) قائد الفرقة الثانية، فقد شرع في محاصرة المدينة ومطاردة أهلها، ونتيجة لذلك سارع سلمان الجلابي والشريف محمد بن عبد الله للهروب تاركين وراءهم جنودهم وفرسانهم، الذين كانوا يحاولون الفرار في كل الاتجاهات، حيث لحق بهم الملازم الأول رابوت (Rabotte) إلى منطقة السبخة، وفي هذه الأثناء أخبر النقيب سيروكا قائده مارمي بوجود تجمع كبير للمشاة في إحدى غابات المقارين، وقد أبدوا استعدادهم للتضحية والموت من أجل الدفاع عن بلادهم بقيادة مقدم النزلة بوشمال بن قبي، وعند ذلك تقدمت فصيلة القناصين نحو هذه الغابة، واقتحموها بوابل من الرصاص، لتكون الحلقة الأخيرة من حلقات الصراع في ذلك اليوم، حيث كان الوقت يشير إلى حوالي الثانية بعد الزوال، علما أن هذه المعركة، بدأت عند الساعة التاسعة صباحا<sup>48</sup>. وأما عن نتائج هذه المعركة، وفي غياب المصادر الجزائرية، فإن الخسائر البشرية في جيش سلمان والشريف قدرت بـ500 مابين قتل وجريح، وغنم الفرنسيون 1000 بندقية، و100 سيف وخمس رايات، أما الخسائر في صفوف الفرنسيين، فقدرت بـ11 قتيلًا و46 جريحًا<sup>49</sup>.

بعد هذه الهزيمة، دخل الملازم روز إلى توقرت في 03 ديسمبر 1854م، متبوعا بالرائد مارمي، وفي 05 ديسمبر 1854م دخل الجنرال ديفو إلى توقرت، واستولى على عاصمة بني جلاب باسم فرنسا، ومعلنا طرد بني جلاب<sup>50</sup>. وفيما يخص مصير سلمان الجلابي، فقد فرّ إلى الجريد التونسي بعد أن ترك ابنه علي ومباركة في حماية الزاوية التيجانية بتماسين، ومنها انتقل إلى مدينة طنجة المغربية، حيث توفي هناك سنة 1877م<sup>51</sup>، أما الشريف محمد بن عبد الله، فقد واصل جهاده ضد الفرنسيين إلى أن قبض عليه سنة 1861م، فسجن في

1-Ibid, PP.218-220.

2Feraud « Notes Historiques ... » Op.Cit, N°25, PP.220-218, et ( M) Prax, «Rapport sur le combat de Meggarin, livré le 29 novembre 1854, aux contingents réunis du Cheikh de Touggourt et de Cheikh de Chérif Mohamed Ben Abdalah», in R.A, N°39, 1895, PP.155-159.

49- A.O.M, 10H76, Mémoires, Op.Cit.

وكذلك المبشر، ع.176، مصدر سابق.

4(E) Mercier, Histoire de Constantine, P.559, et Henri Garrot, Histoire Général de L'Algérie, Alger, 1910, pp.191-192.

3- Feraud « Notes Historiques ... » Op.Cit, N°26, P.116.

فرنسا، ثم حول إلى عنابة، ومنها إلى تونس أين توفي بها سنة 1876م<sup>52</sup>. وهكذا إذن، خضعت منطقة وادي ريغ للاحتلال الفرنسي بعد السيطرة الجلايية على هذه المنطقة لمدة قاربت الأربعة قرون<sup>53</sup>، وبالتالي لم تعد وادي ريغ تخضع لأي حاكم، فقرّزت السلطات الاستعمارية تنصيب أحد المواليين لها، وهو علي باي بن فرحات بن سعيد<sup>54</sup>، حيث عينته آغا على توقرت ووادي سوف.

## 5. خاتمة:

إن موقع منطقة وادي ريغ في شمال الصحراء الجزائرية، وتوسطها لعدة مناطق مهمة، كبسكرة وورقلة ووادي سوف، جعل من هذه المنطقة مقصدا للعديد من القبائل والأعراس والجماعات العرقية المختلفة، التي كان عددها ينمو ويزداد، خاصة خلال النصف الأول من القرن العشرين، حيث انصهرت مع بعضها البعض في هذا الإقليم، فشكّلت بذلك لوحة فسيفسائية بشرية، فأصبح من الصعب التمييز بينها، على الرغم من تعدّد مشاربها وأصولها.

شكّل إقليم وادي ريغ بتنوعه العرقي المتعدد خطرا على الاستعمار الفرنسي في الجزائر، فغالبا ما كان مأوى للعديد من الثائرين على هذا المحتل الغاصب، خاصة في المناطق القريبة من هذا الإقليم، وخير مثال على ذلك، الثائر الشريف بن عبد الله، وناصر بن شهرة وغيرهما، لذلك فكرت السلطات الاستعمارية في احتلال منطقة وادي ريغ، لتضع حدا لهؤلاء الثوار، ولتوسّع من مجالها الاستعماري في الجزائر، وبالتالي تستفيد من خيرات البلاد، فكان لها ذلك، إذ احتلت مدينة توقرت عاصمة وادي ريغ يوم 05 ديسمبر 1854م، بعد معركة حامية الوطيس في منطقة المقارين يوم 29 نوفمبر 1854م، ثم دخلت القوات الفرنسية هذا الإقليم معلنة بذلك سقوط الحكم الجلاي، وبداية السيطرة الفرنسية على هذه المنطقة.

---

52- عبد الحميد زوز، محطات في تاريخ الجزائر على ضوء وثائق جديدة، ط.1، دار هومة، الجزائر، 2004، ص.96.

53- André Voisin, Le Souf monographie d'une région Saharienne, révisé par Ali Abid, El Walid Ed, 1985, P.47.

54- هو علي باي بن فرحات بن سعيد، من عائلة بوعكاز الذواودية، وأصوله من ضواحي بسكرة، عينه الفرنسيون قائدا على توقرت خلفا لبني جلاب بعد سقوط حكمهم، وقد ادّعى هذا القائد أنه من نسل بني جلاب، ولعله أراد بذلك أن يجعل لنفسه هبة لدى سكان توقرت، فاعتماده على هذا النسب يجعل له قيمة كبيرة في مدينة كان الحكم فيها مقتصرًا على بني جلاب منذ سنوات طويلة، ينظر: مالتسان، ج.3، مرجع سابق، ص ص.177-178

لقد قاوم سلمان بن علي آخر حاكم جلاي، ومعه سكان وادي ريغ، المحتل الفرنسي بكل ما أوتوا من قوة، وقد تضامنت معهم ووقفت إلى جانبهم بعض المناطق المجاورة كوادي سوف، لكن ذلك لم يمنع من احتلال هذه المنطقة، فثمة عوامل عديدة ساهمت في ذلك، من أبرزها عدم تكافؤ ميزان القوى بين الطرفين.

وما نستنتجه في الأخير هو أنّ الجغرافيا والسكان يعتبران عاملا مهما في المعلم المتعامد المتجانس، الذي رسمه المستعمر الفرنسي لاحتلال الجزائر، فعلى ضوءهما كان المحتل يخطط ويوجه مساره التوسعي، إذ كلما كان هذان العاملان أكثر أهمية في منطقة ما، كلما كان التعجيل في وتيرة احتلالها متسارعا.

## 6. قائمة المراجع:

- A.O.M, B.N°1H229, Annexe de Touggourt, Rapport annuel
- A.O.M, B.N° 23H99, Annexe de Touggourt, Rapport annuel 1921.
- A.O.M, B.N° 23H99, Annexe de Touggourt, Rapport annuel 1931.
- A.O.M, 10H76, Mémoires siroka, cahier n°3.
- بن دومة، محمد الطاهر، مذكرة أخبار تاريخية لواحة توقرت وبعض ضواحيها، تقديم وتحقيق: عبد الجواد محمد الطاهر، وبوبكر محمد السعيد، المطبعة العصرية للواحات، توقرت (ولاية ورقلة) 1415هـ/1995م.
- خير الدين، محمد، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، ج.1، د.س.
- فون مالتسان، هاينريش، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، الجزائر، ج.3، د.ط، 1980م.
- مقابلة مع زوزو، محمد الصالح (مجاهد) يوم 10 سبتمبر 2001م بالمقارين (ولاية ورقلة).
- بوروية، رشيد، الدولة الحمادية، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، د.ط، د.س.
- زوزو، عبد الحميد، محطات في تاريخ الجزائر على ضوء وثائق جديدة، دار هومة، الجزائر، ط.1، 2004.
- العربي، إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983م.
- العوامر، إبراهيم، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تح: العوامر الجيلاني، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1977م.
- قادري، عبد الحميد، وادي ريغ وأمجاد جزائرية، دراسة تاريخية، دار الأوطان للنشر والتوزيع، الجزائر، ج.1، ط.1، 2013م.
- الميلي، مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج.2، 1989م.
- غنابزية، علي، (2000-2001م)، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/19م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر.

- المبشر (جريدة)، عدد 176، 31 ديسمبر 1854م.
- بوعزيز، يحيى، كفاح الشريف محمد بن عبد الله، مجلة الثقافة، ع.33، السنة السادسة جمادى الثانية، رجب 1396 هـ/ يونيو، يوليو 1976م.
- قصبية، أحمد بوزيد، ابن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871م، مجلة الأصالة، ع.6، السنة الأولى ذو الحجة 1391هـ/جانفي 1972م.
- بن نعمية، عبد المجيد، (23 / 24 أبريل 1998م)، مواقف شيوخ بني جلاب في توقرت من الاحتلال الفرنسي، الملتقى التاريخي الثالث حول بني جلاب، توقرت (ولاية ورقلة)، الجزائر.
- André Voisin, **Le Souf monographie d'une région Saharienne**, révisé par Ali Abid, El Walid Ed, 1985.
- Colomieu (V), **Voyage dans le Sahara algérien, de Géry ville à Ouargla 1862**, Paris, 1863
- Marle(L), **Les Oasis de L'Oued Rir en 1856-1879**, Imprimerie de, Constantine, 1879
- Mercier (E), **Histoire de Constantine**, J.Marl et F.Biron, Imprimeurs-Editeurs, Constantine, 1903.
- George Rolland, **La Conquête du désert, Biskra, Touggourt, Oued Righ**, éditeur librairie coloniale, Paris, 1889.
- Henri Garrot, **Histoire Général de L'Algérie**, Alger, 1910.
- Trumelet (C), **Les Français dans le désert**, 2 édition, Challamel ainé, éditeur librairie Algérienne et coloniale, Paris, 1885.
- Zaccane (J), **de Batna à Touggourt et au Souf**, librairie militaire j.dumaine, Paris, 1865 .
- Feraud (Ch) «**Note historique sur la province de Constantine, Les Ben Djellab Sultans de Touggourt** » R.A, N° 24
- Prax ( M), «**Rapport sur le combat de Meggarin, livré le 29 novembre 1854, aux contingents réunis du Cheikh de Touggourt et de Cheikh de Chérif Mohamed Ben Abdalah**», in R.A, N°39, 1895.